ثقافة العنف والتحديات الراهنة
في ظل العولمة بمفهومها الفلسفي المعاصر

د.غادة عبد الستار مهدي
جامعة بغداد كلية الاداب

الملخص:
يعد موضوع العولمة من أهم المواضيع المعاصرة الآن، وخاصة فيما يتعلق بتأثيره على الشرق الاوسط الذي نعاصره ونعيشه الان. وقد بات من المواضيع المثيرة للاهتمام في الاوساط او الحقول العلمية والاكاديمية والاجتماعية . ويمكن ادراك وملاحظة مدى اتساع وتشظي مثل هذه المفاهيم ومنها مفهوم العولمة ، وخصوصا بعد الاختلافات والصعوبات التي اخذت تحكم علاقات القوى العظمى روسيا وامريكا .ثم اصبح مفهوم العولمة اكثر نموا وتطوراعبر العصور .يضم هذا البحث جملة من المحاورمثل:جذورالعولمة، ومن هي المدارس الفلسفية التي كانت نقطة البدء في انطلاق هذا المصطلح ، وماهي العولمة لغة واصطلاحا ، وعلاقة العولمة بالنواحي السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وماهو تأثيرها على المجتمعات الاسلامية، وماهي الحلول الواجب تقديمها حول كل ما ترتب من تأثيرات عنها

المقدمة :-

من المعروف ان موضوع العولمة من المواضيع والمفاهيم المهمة والتي غزت العالم بأسره تقريباً ، وخصوصاً في الفترة المتوترة التي يشهدها الشرق الاوسط الآن كما اصبح لها إهتماماً واسعاً في الاوساط العلمية والاكاديمية والثقافية والفعاليات الاجتماعية .
وقد لاحظت مدى أهمية تأثير العولمة على تلك الميادين فضلا عن ميادين أخرى سّيِرد ذكرها في سياق هذا الموضوع . ولم ينتشر هذا المفهوم أو المصطلح الاّ بعد حدوث إختلال في توازن القوى العالمية الكبرى ، روسيا القطب الشرقي وأمريكا القطب الغربي ، اللتان تعادلتا قبل الحرب في قوتهما الإقتصادية وهيمنتها السياسية على العالم ، ثم إنهار هذا التوازن مع نهاية الحرب الباردة لصالح القطب الغربي والذي تمثل بهيمنة

الولايات المتحدة الامريكية لوحدها على العالم مع صنيعتها إسرائيل ، بعد أن أخذت الأنظمة الشيوعية المنتشرة في العالم وخصوصاً في أرجاء أوروبا تنهار وتندثر شيئاً فشيئاً ، الاّ ما ندر ، وظهر الى الوجود النظام العالمي الأوحد الجديد ، والذي روج للعولمة التي وجدت هي الأخرى التربة الخصبة الملائمة لها ، أو قد تكون قد فرضت على أوساط وبيئات أخرى لم تستسيغها بسهولة ، وربما كان الهدف منها أسباباً سياسية ودينية وإقليمية ، وهذا ما سنؤكد عليه في سياق حديثنا عنها .

إن العولمة لها مفاهيم ودلالات عديدة لها علاقة بعوامل سياسية واقتصادية وتقنية ومعلوماتية وثقافية وحضارية متداخلة مع بعضها البعض . وإن هذه التداخلات تجعل من الصعوبة الفصل فيما بينها . لأن المقصود بالعولمة ، جعل الشيء عالمياً وأممياً واسعاً وعلى جميع المستويات وعلى كافة الأصعدة ، وهي تعني أيضاً جعل النموذج الامريكي هو المتسيد على العالم ، هذا النموذج الذي ينبغي– حسب وجهة نظر الغرب – أن يغزو العالم بأسره ، والعمل على تطبيقه وفق مستوى عالمي ونطاق أممي.

وهذه الدراسة مؤلفة من عدة محاور أساسية هي : البدايات الفلسفية الاولى لنشأة العولمة ،اي المدارس الفلسفية التي إنطلق منها مفهوم العولمة وإن كانت قد عُرفت قديماً بالعالمية . وماذا تعني العولمة لغة واصطلاحاً، وارتباطها بالابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومن هم الفلاسفة الذين نظروا وروجوا لهذا المفهوم . فضلاً عن أهمية ما تعانيه البلدان العربية والاسلامية الآن من متاعب في ظل العولمة وكيف أفرزت ثقافة جديدة نابعة من تقدمها – تقدم الغرب على الشرق – وما افرزته ايضاً من فلسفة للعنف والعدوان وإقصاء الآخر – ولا ننسى إن إقصاء الآخر واعتبار المركز هو الاصل والفرع هو التابع بمعنى الشرق تابع للغرب حاول " دريدا " وبعض تلاميذه تشخيصه وضربه فبإنتهاء المركز يتساوى الطرفان – كما بينا الآثار الايجابية والسلبية للعولمة وأهم القضايا والاشكاليات المهمة التي طرحت في الفكر المعاصر المتعلقة بهذا الموضوع وتأثيره على القيم والمعايير الأخلاقية لا سيما في العراق مع ذكر لإهم الحلول الواجب اتخاذها .

أ) **الجذور الفلسفية للعولمة :-**

لقد شاع مفهوم العولمة في الولايات المتحدة الامريكية ، وكان القصد منه تعميم الشيء وجعله على مستوى عالمي بحيث تتسع دائرته ليشمل الكل ، ورغم ذلك فإن نشوء العولمة في أمريكا لا يجعلها متفردة في إظهار هكذا مفهوم لوحدها . فهناك

متراكمات تاريخية وجذوراً ضاربة في القدم ساهمت في إفرازه . (١)

فالنشأة الاولى للعولمة تمتد جذورها الى الفلسفة اليونانية القديمة ، حيث كانت نقطة إنطلاقها من المدرسة الفلسفية المعروفة بالرواقية * والتي ظهر عندها مفهوم العالمية ، وظهرت لديها النظرة الشمولية للعالم بغية قيام المدينة العالمية مسقطة كل نوع من أنواع التمييز والتفرقة منذ القرن ٣ ق.م وتحديداً في مدينة أثينا . (٢) وقد أكدت الرواقية عبر هذه النظرة الواسعة على أن أجزاء العالم محكومة بروابط متضامنة ومترابطة تنتقل الحركات بينها رغم بعدالمسافات ، كما تنتقل الحركة في أي كائن حي من جزء الى جزء آخر . (٣)

وتعود هذه الفكرة لتتجدد في الحضارة الرومانية والتي تأثرت بمبادئ الرواقية وخاصة بفكرتي القانون الطبيعي ومبادئ العدالة ، إذ نجد بأن شيشرون أكد على وجود قانون واحد يسري على جميع البشر ومن دون إستثناء ، هذا القانون هو الذي أطلق عليه إسم القانون الطبيعي الذي هو بمثابة دستور للعالم بأكمله . (٤)

وهذا يشير الى عولمة العالم وجعله نظاماً واحداً وخاضعاً لمركزٍ واحد . وقد عنى الكثير من الباحثين بالبحث عن اصول العولمة تاريخياً ، فقد كشف التاريخ عدة غزوات قام بها اليونانيون مكنتهم من احتلال معظم أرجاء آسيا . والآشوريين تمكنوا من إحتلال مصر . كما إنهم قد وجدوا قادة كبار من أمثال الاسكندر المقدوني الذي حاول السيطرة على العالم ، فمنذ عام ٣٤٣ ق.م بدأ بغزواته للسيطرة على الامبراطورية الفارسية والوصول فيما بعد الى الهند ، ثم تجددت غزواته وكانت هذه المرة صوب أفريقيا للسيطرة على إمبراطورية تضم العالم بأسره .

ثم تلتها غزوات أخرى خلال عامي ٣٢٥ – ٣٢٦ ق.م حاول من خلالها بناء عالم موحد والوصول الى أقصى الأراضي المسكونة ، وبهذا الطموح والغزو كان الرومان يطمون الى السيادة العالمية . وظهرت بعدها غزوات هولاكو وجنكيز خان .(٥)

أما بالنسبة للديانات السماوية فإننا نجد أن الديانة المسيحية والاسلامية إتسمتا بالعالمية كونهما دينين عالميين بإستثناء اليهودية التي إتصفت بطابعها العنصري ، إذ كانت حكراً على بني إسرائيل بإعتبارهم شعب الله المختار وهذا ماجعلها ديانة مغلقة وعنصرية في آن واحد ، رغم إيمانها بالله الواحد الأحد (التوحيد) ، أما المسيحية فقد دعت الى وحده العالم على أساس فكرة الخلاص وإنقاذ البشرية جمعاء وليس المسيحيين فقط ، وتجلت فكرة العالمية وتأكدت جذورها في ديننا الإسلامي الحنيف عبر ما أكد عليه كلام الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم . (٦)

وبذلك جاء الإسلام بمنهجية عالمية شاملة لكافة أوجه الحياة . ويذكر لنا التاريخ الحديث والمعاصر شخصيات عدة كانت تطمح للسيادة على العالم من أمثال هتلر وستالين وموسوليني . وقد أشار أحد الباحثين وهو حاكي دوفيشان في تأكيده على الجذور القديمة للعولمة ، إن حالة البشر قبل نشوء العولمة بمفهومها الحديث ، كانت أشبه بالانسانية المتحدة ، مؤلفة من قرويين ومزارعين ورُعاة ، اي كانت متناسقة نسبياً ثم تطورت الى دول و أمم ثم امبراطوريات ، فقد نشأت العولمة حين توزعت الاراضي على دول و أمم ، ويمكن إعتبار مؤتمر برلين الذي عقده في ١٨٨٥م وأنجز تقسيم أفريقيا ، نقطة البدء إنطلاق هذه العولمة . وهذا ما أسهم فعلاً في ظهور قادة وشخصيات و امبراطوريات حاولت فرض هيمنتها على العالم . (٧) فالعولمة بذلك هي ليست وليدة العصر الحاضر ، بل هي قديمة قدم التاريخ البشري فقد إقترن وجودها مع نشوء الامبراطوريات ثم تكرست في المرحلة الإستعمارية والإمبريالية ثم الرأسمالية ، وكان هدف الأخيرة توحيد العالم ودمجه من خلال إلحاق البلاد الزراعية الضعيفة من حيث النمو الرأسمالي والتكنولوجي ، ولم يكن ليتحقق لها ذلك الاّ عن طريق الهيمنة العسكرية والسياسية لفرض القوة على غيرها ، وقد أنتج هذا بدورة إكتشاف أمريكا * هجرة عدد كبير من الاوربيين إليها لتصبح مركزاً مهماً للإنتاج الصناعي والتقني وقادراً على استقطاب الكثيرين . (٨) فأمريكا كانت أفضل مثالٍ على العولمة ، فقد أكتشفه عام ١٤٩٢م من قبل المستكشف الغربي كريستوف كولومبوس الذي نجح في جلب كميات هائلة من الذهب الى إسبانيا الوطن الأم .

وهناك المزيد من الأمثلة منها ما قامت به شركة الهند الشرقية الهولندية التي تأسست عام ١٦٠٢م وقد حظيت بموافقة الدولة لشن الحروب وعقد المعاهدات ، فقد أسند إليها الى جانب وظيفتها الإقتصادية كشركة وظائف سياسية وقرارات عسكرية ساعدتها في فرض سيطرتها على مقدرات واقتصاد عدد من البلدان منها الصين واليابان وأندونوسيا ، والهند والبرازيل وجزر البحر الكاريبي واستطاعت غزو سيلان وسيريلانكا من البرتغال . (٩)

يتبين لنا من خلال ما سبق ان العولمة هي ليست حدثاً يخص القرن العشرين ولا الحادي والعشرين الذي نعيشه الآن ، بل حاول الكثير من القادة والحكام والسياسيين ايجاده على سطح الارض في محاولاتهم الحثيثة في السيطرة على العالم ، وإن لم يتسنى لهم تحقيق الهدف على نحوٍ كامل . فلم يُفلح الاسكندر أو هتلر أو ستالين ولا حتى الإنسان المعاصر سيتمكن بما يمكله من

أدوات في السيطرة على العالم ، ويحول الأنظمة الموجودة الى نظامٍ واحد يحكم جميع أرجاء الكرة الأرضية ، بحيث تصبح الثقافة والحضارة والسياسة وجميع أشكال الحياة الإجتماعية في متناول الجميع . ورفع الحواجز أمام الدول للإستفادة مما هو موجود عندهم ، فيغدو العالم بذلك مدينة واحدة من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه – وهذه الفكرة كان قد نادى بها الفيلسوف الالماني كانت في كتابه السلام العالمي – ويقطن هذه المدينة الشعوب بأكملها وعلى إختلافها ويُشارك الجميع في الحالة الحضارية والمجالات الإجتماعية والعلمية والثقافية الموجودة . (١٠)

ب) العولمة لغةً واصطلاحاً :-

من المعروف لدى الكثيرين أن مفهوم العولمة Globalizationحاله حال أي مفهوم آخر سواء كان مفهوماً علمياً أم فلسفياً أم سياسياً ، اقتصادياً ، إجتماعياً أم فقهياً وغيره ، كان مُثار جدلٍ كبير فيما يتعلق بتحديد مفهومه .

والعولمة عموماً لا تعني الدولة العالمية ولا المجتمع الوطني الكبير الذي ينطوي تحت لواءه جميع المجتمعات الوطنية ويلغي وجودها ، وإنما هو أفق عالمي تميزه الكثرة والإندماج ينفتح عندما يتم تكوينه عن طريق الإتصال والعمل والمحافظة عليه .

وهي المجتمع العالمي من دون دولة عالمية أو حكومة عالمية ، وإنما هناك رأسمالية شاملة مختلفة النظام آخذه في التقدم والإتساع ، لكن هذا لا يعني لدى كثير من الباحثين بأن هناك قوة مهيمنة وليس هناك نظاماً عالمياً لا إقتصادياً ولا سياسياً ، حتى إن البعض قد وصفها بطرازها القديم بأنها قضية جدلية توفر أمكنة أجتماعية متجاورة للحدود وإرتباطات كثيرة ، تسعى الى إعلاء الثقافة العالمية وابراز مستوى الثقافات الأخرى ودرجة تقدمها أو تأخرها . (١١)

وقد وصفها كثيرون بأنها تتعدى أن تكون ظاهرة إقتصادية أو سياسية أو تقنية أو معلوماتية ، بل هي في الاساس ظاهرة تاريخية غير مستقرة ولا ساكنة بل متحركة ومستمرة الى أبعد الحدود ، تعبر عن رغبة الشمال في فرض سيطرته على الجنوب منذ إندلاع الحرب الضروس بين روما وقرطاجنة.

وتعبر أيضاً عن رغبة الغرب في السيطرة على الشرق منذ الحروب التي إنطلقت شرارتها بين بلاد فارس واليونان والى يومنا هذا . (١٢) ومازالت هذه الهيمنة مستمرة والدليل على ذلك ما يشهده حالياً القرن الحادي والعشرين من أحداث وتحولات كثيرة ومتنوعة إثر ذلك .

أما من حيث اللغة والإصطلاح فلا يمكن لأي باحث أو قاريء أو كاتب أن يَفهم

ولايُفهِم العولمة دون الإشارة إليها لغوياً واصطلاحياً . فالعولمة من حيث الدلالة اللغوية التي لابد من التنويه إليها أولاً ، كون اللغة هي المفتاح الذي يوصل لفهمها عموماً تعني قوَلَبَ على وزن (فوعَلَة) وَمثلُها القوننة والرودنة (التعب) والحوقلة والقوقعة و الهوجلة . (١٣)

وهي تعني قلب الشيء وتحويله من حالة معينة أو وضع معين الى مرحلة أو وضع آخر وفق إنموذج معين أو قالب مُحدد . لكن وجد البعض الآخر بأن صيغة (فوعلة) حرفياً تختص بالنسب ، تُصاغ منها ألقاب معينة تخضع بموجبها لضوابط وشروط معينة لا نجدها في لفظ العولمة . فهذه اللفظة غير صحيحة لعدم وجودها في المعجم العربي ولفظها الصحيح هو العالمية ، والتي تعني أن يُجعل الشيء على مستوىً عالمي . فاللفظ هنا أن العالمية مشتقة من إسم (العَالَم) الذي هو على وزن فاعل ، وجمع العالَم المراد به الخلق (العوالم) وهذا ما تم الإجماع والإتفاق عليه . (١٤) ومهما يكن من أمر فإن الدلالة اللغوية للعولمة لن تنأى عن كون الجذر والمصدر ، وهي الإشارة الى أنها إضفاء صفة العلمية على موضوع ما هو موضوع فعل العولمة لذا وصفتها موسوعة الإدارة والأعمال بأنها " عملية زيادة الالتحام في الحضارة العلمية " .

أما من حيث المصطلح ، فقد كانت العولمة شديدة الالتحام بالجانب الاقتصادي العالمي . (١٥) وقد ظهر هذا المصطلح في الولايات المتحدة الامريكية تحت كلمةGlobalizationثم ترجمتها بالفرنسية ظهرت تحت كلمة Mondialisation .

وقد تُرجم هذا المصطلح الى اللغة العربية وفقاً لثلاث مصطلحات وبمعانٍ متقاربة هي : الكونية ، الكوكبية ، والعولمة . (١٦)

وإن العولمة التي هي ترجمة لكلمة Mondialisation تعني جعل الشيء عالمياً ، أو على مستوى عالمي ، أي نقله من الميدان المحدود الذي يتجاوز ويخرج عما يحده ، فالعولمة بهذا المعنى إلغاء جميع الحدود والنفوذ الى جميع المستويات على الإطلاق رغم تنوعها واختلافها . (١٧)

وقد نسب مصطلح العولمة الى العالم كما جاء في إحدى الموسوعات ، وهي موسوعة يهودية وصهيونية لـ "عبد الوهاب المسيري" والتي أكد فيها بأن العولمة هي تزايد تساقط الحدود والخصوصية بحيث يصبح العالم كله مادة إستعمالية ، مجرد سوق ضخمة ، ويصبح جميع البشر كائنات وظيفية أحادية البعد يمكن التنبؤ بسلوكها ووظيفتها . وعندما يسود التجانس الكامل بين معظم المجتمعات البشرية أو جميعها ، أو عندما تتلاقى وتتبع نمطاً واحداً وقانوناً واحداً – قانون التطور والتقدم العالمي الحتمي–

وحينما تهيمن الوحدانية المادية يصبح العالم مكوناً من وحدات قد تكون غير مترابطة ولكنها متشابهة ، ما يحدث في الواحدة يحدث في الأخرى وهذا ما أطلق عليه ماكس فيبر " القفص الحديدي " . [١٨] والواقع لقد شاع في الاوساط العلمية والادبية مصطلح العولمة ليكون هو الصيغة المحددة لهذه الظاهرة رغم إعتراف الكثير من الباحثين بعدم إكتمال الصورة الحقيقية لها حتى الى يومنا هذا ، فهي ما تزال حديثة النشأة والتحقق والوجود رغم أن لها جذوراً ضاربة في القدم تمتد الى الحضارات الشرقية والغربية القديمة .

والحقيقة ما زالت العولمة رغم ذلك مُثار جدلٍ وبحثٍ ونقاشٍ ليس فقط على المستوى الأكاديمي – الجامعي ، ولا على مستوى مراكز البحوث المهتمة بهذا المفهوم او المصطلح ، بل أصبحت تحتل مكانةمهمة للنقاش والجدل والبحث في الميدان الإجتماعي – الرأي العام –وعلى المستوى السياسي وتيارات الفكر وحتى وسائل الإعلام.

وهذا الشأن الذي تمتعت به العولمة لم تكن لتصل إليه لولا إتسامها بحقيقة بدت واضحة للعيان لدى الجميع تقريباً الاّ وهي أن حقيقتها ذات طبيعة ديناميكية حركية سياسية ولم تكن شيئاً إستاتيكياً ، لا ثابتاً ولا ساكناً ولا مستقراً .

وقد طرحت على الساحة العلمية والانسانية العديد من الآراء لتحديد جوهر هذه الظاهرة التي عرفناها بإسم " العولمة " ، والتي غدت تفرض وجودها علينا اليوم – وليس اليوم فقط بل أصبح الغزو الثقافي يفرض علينا نفسه ويزداد نفوذه يوماً بعد آخر – فهل المقصود بها كثافة وسهولة إتصال ؟ أم إنها تقوم على أساس السيطرة المالية أي سيطرة رأس المال والمنافسة النقدية في كل حركة ، وتحويل الإنسان الى آلة إقتصادية همه الربح والخسارة وتحسين نوعية السلع وتخفيض أسعارها ، أم أنها تعني تجنيس العالم بنقل الاستثمار المباشر وتكنولوجيا المعلومات الى البلدان التي تفتقر إليها ، أم قد تكون ساعية لانقاذ مليارات البشر من الجوع والفقر بفتح كل آفاق الخير والتعاطف والإخاء ولتفتيح إنسانية المجتمعات . ولا يسعنا الاّ أن نقول بأن جوهر حقيقتها يكتنفه الغموض ومتردد بين السلب والإيجاب ، بل إن بعضهم مال الى التحذير من خطرها وهذا ما تجلى في بعض الدراسات التي وصفت العولمة بأنها في حقيقتها هي تغيير لجوهر المجتمعات العربية بهدف قلب حقيقتها ، بعضهم حذر من كونها فخاً وإنذاراً بمخاطرها المستقبلية . [١٩]

ورغم تباين تلك الآراء بصدد مفهوم وجوهر العولمة وما تحمله من آثار قد يراها البعض إيجابية والبعض الآخر يحذر منها – هذه

المسألة سوف نناقشها لاحقاً –تبقى العولمة في أعماقها تهدف الى نقل الشيء الى المستوى العالمي وتجريده من جميع أنواع المراقبة والمحاسبة ، وإلغاء جميع الحدود في كافة المجالات لاسيما منها الاقتصاد والمال والتجارة والسياسة والثقافة وترك الامور تتحرك ضمن هذه المجالات بحرية عبر العالم بأسره وداخل فضاء يشمل الكرة الارضية بأسرها . [٢٠]

ج) العولمة مفاهيم ودلالات متعددة :-

من المتعارف عليه عند علماء المنطق الكلاسيكي القديم ان المرء عندما يحاول مواجهة حقيقةٍ ما ، مجهولة يسعى جاهداً للتعرف عليها . وإن إكتشاف هذه الحقيقة والمعرفة الكاملة لا تتأتى الاّ عبر محاولاتٍ عدة ، تقع في بداية تلك المحاولات المعرفة اللفظية ، وفي النهاية تقع المعرفة الحقيقية والذاتية . وقد عرفنا ما هو التفسير اللغوي واللفظي للعولمة ، يبقى الآن أن نقف على التفسير الحقيقي لها . [٢١] يتفق الجميع على عدم وجود مفهوم موحد للعولمة ، متفق عليه عالمياً ، والسبب في ذلك يعود الى تنوع طرق التفسير ، فكل طرف يحاول جاهداً أن يفسرها بطريقة تتفق مع نظرته ورؤاه ومصالحه الخاصة ، لذلك عدَّها كثيرون عملية مستمرة.[٢٢] وبذلك أصبح من المؤكد أن العولمة أصبحت تضم الكثير من المفاهيم والدلالات ذات الابعاد المتعددة فهي ليست مقتصرة على بعدٍ واحد . إنما لها علاقة بعوامل سياسية واقتصادية وتقنية وثقافية وحضارية وإتصالية متداخلة مع بعضها البعض ، وإن هذا التداخل هو ما يجعل صعوبة في الفصل بينها . [٢٣]

وسنورِّد بعض التعاريف الخاصة بالعولمة كونها من المفاهيم الأكثر غموضاً والأبعد أثراً في السنوات الماضية ، وسنقف أيضاً على أبعادها ذات الإرتباط الكبير بالناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها . [٢٤]

بعضهم عرّفها بأنها (القوة الغير مسيطر عليها للأسواق الدولية والشركات المتعددة الجنسية والتي لا تكن الولاء لأية دولةٍ قومية) وبعضهم الآخر عدّها حرية حركة السلع والخدمات والأيدي العاملة ورأس المال عبر الحدود الوطنية والإقليمية ، وهناك فريق من الباحثين من عرّفها بأنها تعاون قائم بين جميع الدول والمؤسسات ، وميز بينها وبين النظام الدولي فالآخير تعاون قائم بين دولة ودولة أخرى . [٢٥] أما برهان غليون فقد وصفها (بديناميكية من نوع جديد تظهر عبر العلاقات الدولية لنشر وعلى قدرٍ عالٍ المعلومات والتقنيات . ويؤكد على ضرورة وصفها بالثورة المعلوماتية والاقتصادية) . ويجدها آخر مثل فيليب غوميث (إن العولمة رغم جذورها التي ضربت الاعماق في بعض الميادين وتخطت بعض القطاعات

مثل قطاع المال والاعلام والثقافة ... وقد أطلق عليها غوميث مصطلح International–ization كونها غير واضحة المعالم من الناحية المفهومية – المفهوم – ومن ناحية إختبارها على أرض الواقع) . وتشظت تعريفات العولمة على جميع الأطياف والمنطلقات سواء السياسية منها أم الآيديولوجية وحتى الفكرية .

ويُعرفها صادق جلال العظم بأنها (وصول نمط الانتاج الرأسمالي عند منتصف القرن العشرين الى نقطة الإنتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والتجارة والتداول الى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة إنتاج ذاتها) وقد عنى بهذا التعريف عولمة علاقات الإنتاج الرأسمالي . أما عن حسن حنفي فيقدم لنا هذا التعريف (العولمة تكتل إقتصادي للقوى العظمى للإستثمار بثروات العالم ومواده الاولية وأسواقه على حساب الشعوب الفقيرة ...) . (٢٦)

وقد عرَّفها روبرت رايخ بأنها " إندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة ، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق بحيث تصبح كل هذه الأسواق سوقاً واحداً كالسوق القومية ، وتالياً خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى إختراق الحدود القومية والى الإنحسار الكبير في سيادة الدولة ، وإن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات " . (٢٧)

وقد ورّد تعريف العولمة في البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة (U.N.D.P) على النحو الآتي :– (إن العولمة مصطلح يجمع بين وصف الظاهرة وتحديد مبادئها ، أما الوصف فهو تعبير عن إتساع وعمق التدفقات الدولية في مجالات التجارة والمال والمعلومات في سوق عالمية واحدة متكاملة ، أما المبادئ فهي تحرير الأسواقالوطنية والعالمية ، إنطلاقاً من الإعتقاد القائل بأن التدفقات الحرة للتجارة والمال والمعلومات ، وسيكون لها أفضل مردود على النمو ورفاه البشر) . (٢٨) وتوصف العولمة بشكلٍ عام على إنها نتاج حتمي أو نتيجة حتمية أبدعتها آيديولوجيات وسياسات مختلفة ومحدودة نابعة من الوعي الكامل والإدارة الكلية للحكومات التي وقعت إتفاقاً أكدت فيه على ضرورة تطبيق السياسات الليبرالية الجديدة بهدف إزالة الكثير من العقبات أمام حركة راس المال والبضائع والسلع . (٢٩)

بينما يشير أحد الباحثين الى أن العولمة تعني " الصهيونارية " وهي حركة أعمق وأخطر وأكبر من الصهيونية نفسها ذات الطابع العالمي السياسي .

وإن السبب في خطورتها يعود الى الآيديولوجية الحديثة فضلا عن الآيديولوجية القديمة وفلسفتها المغلفة بالكثير من المفاهيم

والمصطلحات المعسولة والخداعة التي تُغري بالكثير من المفكرين والباحثين في جميع أنحاء العالم . [٣٠]

ولا يسعنا الاّ نقول بأن العولمة تكشف عن الكثير من العمليات ، فهي في صميمها ظاهرة تتعلق بمجال نشر التكنولوجيا والمعلوماتية بحيث تصبح في متناول الجميع من بني البشر ، وتشير أيضاً الى إلغاء الحدود بين الدول وتحمل في طياتها أهدافاً وتسعى الى تكثيف معدلات التقارب والتشابه والمماثلة بين مختلف الجماعات والمؤسسات . [٣١] إن جميع هذه التعاريف ترتكز الى عدة أبعاد ، كل بعد منها يأخذ منحنى مميزاً:-

البعد الإقتصادي للعولمة :-

إن البعد الإقتصادي للعولمة يضم إتجاهات ومؤسسات إقتصادية عالمية غير معهودة منذ القدم وتشكل في مجملها ما يُعرف – بالذات الآن – العولمة الإقتصادية . وأشهر تعريف يوضح البعد الإقتصادي للعولمة هو تعريف ولفنانغ راينكي حيث عرفها بأنها " ظاهرة التكامل في الجوانب الهيكلية والاستراتيجية للشركات التي أصبحت أنشطتها التحويلية والتقنية والمعلوماتية تخترق الحدود الوطنية بهدف تحقيق تنافسيتها الدولية . [٣٢]

البعد الثقافي للعولمة :-

يقصد بالبعد الثقافي للعولمة هو ظهور الثقافة كسلعة عالمية ، تسوق كأي سلعة تجارية أخرى ، ومن ثم بروز وعي ومفاهيم وقناعات ورموز ووسائط ثقافية عالمية الطابع . ومن أهم التعاريف التي جاءت بهذا الصدد هو تعريف جيمس ميتلمان إذ يقول(إن العولمة الاقتصادية ماهي الاّ عملية مقابلة ثقافية بين الحضارات يعتريها الكثير من التناقض وعدم الإستمرار) . وتساهم العولمة ببعدها الثقافي هذا في مضاعفة التفاعل الثقافي بين الشعوب مما يؤدي الى بروز التمايز الثقافي بينهم .

البعد السياسي للعولمة :-

وهنا تشير العولمة السياسية الى قضايا سياسية عالمية جديدة مرتبطة أشد الإرتباط بالحالة الأحادية السائدة حالياً . فقد عرّفها كثيرون بأنها (زيادة الترابط والإلتحام بين الأجزاء المكونة للكوكب من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية بصورة لم تشهدها البشرية من قبل . وأصبح إتخاذها القرار سياسي في بلد ما ، يمكن أن يؤثر على حياة ملايين من البشر في أماكن بعيدة) . وهناك من يعرفها بأنها (غطاء وقناع للإمبريالية) . [٣٣]

البعد الإجتماعي للعولمة :-

وفيه يبرز ما يُعرف بالمجتمع المدني العالمي ، وبروز قضايا إنسانية مشتركة تشكل في مجملها العولمة الإجتماعية .

وقد وصف العديد من الباحثين العولمة الإجتماعية بأنها (عملية تصور في الغالب إيجابية تعمل على توحيد المجتمعات المختلفة وتحقيق تكاملها في قرية كونية ، الكل يغتني في إطارها) ويتم عبرها معالجة الكثير من المشكلات على الصعيد الإجتماعي ، كالهجرة ، وزيادة عدد السكان والمخدرات والعنف وغيرها . وتُعرَّف أيضاً بأنها (فرض لتغيرات قاسية على المجتمعات المحلية بواسطة قوى جبارة من الاعلى) .

وتضاف الى هذه التقسيمات والابعاد ، بعض التعاريف التي حاولت أن تجمع كل ما سلف ذكره بهدف وضع تعريف شامل لها ، رغم إجماع الكثيرين على إيجاد تعريف شامل وجامع للعولمة . عرَّفها البعض – وفقاً لمنظوره الشمولي – على إنها (القوة بمفهومها الشامل الإقتصادي والسياسي والعسكري والتقني والإعلامي والثقافي ، وهي الأساس في تكوين شكل النظام العالمي في القرن الحادي والعشرين . [٣٤]

د) العولمة وعلاقتها بالعالمية والاممية ، والتدويل ، والأمركة :-

بعد أن وضحنا العولمة وما تحمله من مفاهيم ودلالات وابعاد متنوعة ، لابد لنا من التمييز بينها وبين مفاهيم أخرى ذات طابعٍ عالمي – بسبب خلط الكثيرين بينها وبين مفاهيم أخرى – كالعالمية والاممية والتدويل والأمركة .

فالبنسبة للتمييز بين العولمة والعالمية في محتواها الضمني ، ومدلولها الإصطلاحي نجد فرقاً كبيراً .

فالعالمية إرتبطت بالارض والإنسان وهي تختص بالقيم وحقوق الإنسان والحريات والثقافة والديمقراطية ، أما العولمة فقد أرتبطت بالكونية وأنظمة الإنسان سواء مع الأرض أو في الفضاء ، وهي تخص السوق والتقنيات والمعلوماتية والسياسية . وبذلك تكون العولمة أوسع وأشمل فهي تأتي بعد العالمية ، بل وتحوي العالمية ضمنها في ظل إطارها الواسع . [٣٥]

أما عن الفرق بين العولمة والأممية نجد أن الأممية هي نزعة عالمية تتجاوز الحدود القومية لتكريسها لصالح الجهة المستفيدة من فكرة الأممية . ومن أشهر دُعاة الاممية في العصر الحديث هم دُعاة الشيوعية ، حيث كانت ذات طابع عالمي ، وأصبحت أداة القوة بالنسبة للإتحاد السوفيتي . وأن الآيديولوجية الشيوعية قد إنبعثت عن فكر سياسي وإقتصادي قائم على مبادئ عالمية ويبشر برؤية مستقبلية يتساوى على أثرها البشر . في حين نجد إن العولمة لا تمثل آيديولوجية دولة معينة رغم تخطيها حدود

الدولة القومية ، فما هو سوى إنعكاس لمجموعة متغيرات سياسية واقتصادية وتقنية .

أما عن الفرق بين العولمة والتدويل ، فالفرق شاسع على نحوٍ كبير وواضح ، فالأخير (التدويل) ما هو الاّ نظام دولي تضعه الدول لتحديد أشكال علاقاتها ، في حين إن العولمة حسب ما تبين لدى كثيرين إنها تُناوئ المجال الجغرافي السياسي القائم، سواء أكان ذلك على مستوى المجال الجغرافي السياسي العالمي أو على مستوى مجال كل بلد من البلدان .

وأخيراً لابد من التمييز بين العولمة والأمركة ، كون إن بعضهم يوحد بينهما من جانب ، ومن جانبٍ آخر يرجع الى كون الولايات المتحدة الأمريكية تحاول توظيف العولمة لمصلحتها من جهة أخرى . فالعولمة لا تعني بتاتاً الأمركة كما يراها بعض المفكرين لكون الأمركة ليست وليدة اليوم . فالولايات المتحدة الامريكية حالها حال غيرها من الدول ، لها رسالتها وحلمها الإسطوري الذي عبر عنه أحد علماء التاريخ الامريكي وهو جون فيسك (أمريكا يحدها الشفق القطبي شمالاً ، والاعتدالين جنوباً ، والعماء البدائي شرقاً ، ويوم القيامة غرباً) لذا أصبح لدى الامريكان إعتقاداً سائداً بإمكانيتهم في تحقيق ما أسموه أمركة العالم ، وسعوا الى السيطرة عليه بالنهب والاخضاع – وحالياً التقسيم أو التجزئة – وتعميم النموذج الثقافي الامريكي الذي أخذت تعاني منه الدول العريقة . (٣٦)

والسبب في ذلك يعود النظرة الاستعلائية لأمريكا والتي ترى بأن الثقافة الامريكية النموذج الاصلح للعالم من جهة ، ووتعاطى مع الثقافات الأخرى كونها نزوعاً الى الخلف وشكلاً من أشكال الإعتراض على الاصلح من جهة أخرى . (٣٧) وهذا ما تجلى واضحاً في تأكيدات جورج بوش (الاب) منذ أوائل التسعينيات عندما صرح بأن القرن القادم لابد أن يكون أمريكياً ، وقول نيكلسون قبله على إن أمريكا هي التي تقود العالم لا غيرها . وهذا التصريح الأخير يعد إمتداداً لسلفه روزفلت الداعي الى امركة العالَم . والواقع نجد اليوم بالذات أن أمريكا قد كُتب لها النجاح في عولمة العالم بأكمله ، خصوصاً بعد إنهيار الاتحاد السوفيتي وبروز الانظمة الرأسمالية وبقيت هي القطب المتمركز على العالم بأسره . (٣٨)

هـ)معاناة المجتمعات العربية في ظل العولمة :-

أصبح من المؤكد اليوم ومنذ زمن سابق أن الحضارة الغربية هي مصدر الثقافة والمد الحضاري ، فهي المتحكمة بسوق الاوراق المالية أو البورصات ومعظم بنوك العالم والنقد والبنك الدولي والهدف من وراء ذلك طبعاً هو الهيمنة وبالذات الهيمنة الاقتصادية . (٣٩)

وقد تذبذبت آراء ومواقف مفكرينا العرب والمسلمين ما بين الرفض والجذب . ورغم أن بعضهم بات يؤيد هذا المد ، نجد بالمقابل الكثير من المفكرين وغيرهم رفضوا مثل هذا المد الإستعماري وخصوصاً على الصعيد التقني وهؤلاء من يُطلق عليهم إسم خصوم وسائل حرية تدفق المعلومات لأنهم يعدونه مداً جديداً ودخيلاً وغير مألوف ، ويمثل تهديداً رئيسياً وسبباً أولياً لإضمحلال الحضارة وبالذات الحضارة العربية الاسلامية .[٤٠]

ويرى كثير من المفكرين والباحثين ومنهم محمد عابد الجابري إن هذا المد قد فرَض علينا نفسه ، بوصفه نموذج عالمي جديد ، لم نعثر عليه مسبقاً فيما سبق في حضاراتٍ قديمة ، وأصبحنا الآن ما بين الأخذ بالنموذج العربي أو رفضه تماماً .[٤١] ومادام هذا النموذج قد فُرض علينا أصبحت مجتمعاتنا العربية تعاني اليوم كثيراً من إنقسامات كبيرة كان سببها عملية التقدم السريع الحاصل والإندماج والعولمة وتنمية الفوارق ، فاليوم ينقسم المجتمع الى مدني متحضر (حضاري) وريفي فقير (بدائي) .

وفي ظل ذلك ينشطر المجتمع على طبقتين هما :- الطبقة الغنية والطبقة الفقيرة ، الاولى مترفة والاخرى مُعدمة ، وفي وطئة ذلك ينقسم المفكرين على نخبة عصرية مواكبة للتطور ، وأخرى تقليدية تحاكي التطور عن بعد أو لا تأخذ به أبداً لإرتباطها بالقديم ، أي بين الأصالة والمعاصرة بحسب إعتقادنا . فالغرب يستغل مسألة الفوارق وتنمية الفقر ، وهذا ينتج عنه ظلم وقهر إجتماعي واستغلال طبقي ، وهناك نتائج أخطر تترتب على ذلك أشدها هي قدرة العولمة على جذب القطاع العصري والنخب العصرية وعلى مستوىً عالمي ، والعمل على تكريس تبعيتها النهائية لنظام الهيمنة العالمي إقتصادياً وثقافياً ، في حين تبقى بعض القطاعات والتقليدية منها بالذات والنخب المرتبطة بها مُحاصرة ، ويترتب على ذلك حدوث رّد فعل عنيف تظهر صورة اللاعقلانية بقضيتين شهدتها الساحة العربية فيما مضى والآن أكثر هذه الصور تتمثل – التكفير برأينا المتواضع – بالهجرة .[٤٢]

فهل يا ترى قد نعثر على نهضة للعرب أم لا ... ؟

والحقيقة لا أجد أصلاً قيام أي نهضة عربية في ظل ما يشهده الوطن العربي من حروب وأنقسامات وتفكك ، وإن حدث هذا وظهرت بوادر المشروع النهضوي الذي تأمل حدوثه بعض المفكرين العرب ، أرى بأنه سيأخذ وقتاً طويلاً إضافةً الى إنه سيستنزف الكثير من الجهد والمال .

و) أزمة القيم والاخلاق في ظل نظام العولمة :-

مما لا شك فيه إن القوى الفكرية التي تقطف خلف العولمة وتعمل على توجيهها وخصوصاً في وقتنا الراهن تغلب عليها الكثير من العيوب ، إذ تقدم على التنافس المطلق والتدافع بين الشعوب على أسباب الحياة ، بعيداً عن القيم والثوابت المطلقة . بل إن ما تقوم به هي إعادة صياغة القيم والمفاهيم الأخلاقية من جديد لتكون إرادة الغالب هي المعيار في كل شيء . الأمر الذي يعني زعزعة قيم الشعوب والتشكيك في قواعد أخلاقها واضطراب مُثلها ، وأنصهار ذاتيتها مع الأهواء والمصالح الآنية للشعوب . (٤٣)

فمن الملفت للنظر أن العلم والتكنولوجيا وثقافة الغرب وآيديولوجيته يطرحان الآن وعلى الساحة المعاصرة مشكلات أخلاقية تثير الإهتمام وتستحق الإمعان والنظر، كان معظمها يدور حول ما الصواب وما الخطأ ؟ ومالحق والباطل ، ما الصحيح وغير الصحيح ؟ فالأخلاق نتيجة ذلك أصبحت تنبع من حاجات الإنسان الفعلية لا مما هو مثالي أو عقائدي أو مأثور ، أي لا تنبع من مصادر تقليدية بالضرورة . (٤٤)

فالقيم الأخلاقية – رغم ثباتها – دائمة التغير ، هي وسلوك الإنسان الذي لا يثبت طوال الزمن – هذا لا يصدق طبعاً على جميع البشر لنقل معظمهم – وهذا التغير نابع من الظروف المختلفة والمراحل المتنوعة للتحولالحضاري . فالتحولات السريعة التي تشهدها المجتمعات المعاصرة نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي ، يخلق قيماً جديدة وسلوكاً جديداً ، والفرد الذي يعجز عن تكييف نفسه على نحوٍ ملائم لمواكبهالجديد أو لم يكن مستعداً لإيجاد قيم جديدة فإنه سوف يعرض نفسه لشتى الأمراض النفسية والجسدية المتزايدة منها : الجرائم الجنسية ، والقتل ، والعقد النفسية والبارانويا وبعض الامراض مثل السكر وارتفاع ضغط الدم وغيرها . وبالتأكيد نحن كبلدان عربية وإسلامية محافظة لا يمكن لنا تقبُل الجديد الاّ بحدود ضيقة جداً . وإن هذا التضارب يُحدث نوع من التصدع أو الصدمة ، وهو ما يشهده الآن بلدنا الحبيب العراق . (٤٥)

ي) العراق والعولمة الثقافية وأثرها على قيمه وأخلاقه :-

إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية تجابه الآن الكثير من الأزمات والتصدعات نتيجة المد الحضاري والغزو الثقافي الذي وقفت مجتمعاتنا إزاءه ما بين شدٍ ورفض ، مما جعلها تعاني من تغيرات واسعة على نطاق القيم . ولنأخذ من بلدنا العراق مثالاً واضحاً على ذلك .

فمنذ عام ٢٠٠٣ م ومجتمعنا العراقي يمر بمنعطف شديد الخطورة على عقائده الدينية

ومبادئه الأخلاقية . فبعد أن كان مُغلقاً عليه طيلة السنوات السابقة ، دخل العالم الجديد الذي غزته العولمة . فقد فُتحت الفضائيات وتمكن الافراد من إستخدام الأجهزة الالكترونية الحديثة التي لم يعهدها مسبقاً . ومنها : الحواسيب والموبايلات . ووسائل التعارف المسماة بوسائل التواصل الإجتماعي والنت والإيميلات وغيرها . والواقع لم يكن مجتمعنا العراقي مستعد الاستعداد الكامل لما بعد رياح التغيير ، فلم يكن هذا التغيير متوقعاً – رغم ان أحداثه الهمت البعض بالتنبوء به منذ ٢٠٠١ م لكن لم يخمنها كثيرون – فتولدت إثر ذلك صدمات وتصدعات . وهذه الصدمة ستولد جرائم وأعمال قتل وسرقات وانتحارات وعقد وامراض نفسية وحدث هذا بالفعل ، فهناك جملة من الامور يعاني منها العراقيون الآن.

وقد تصدعت على إثر ذلك القيم والمعايير الأخلاقية .فمعظم المعايير والقواعد والثوابت التي كانت سائدة في مجتمعنا ومنسجمة ومتلائمة مع حقبة تاريخية محددة ، أخذت تتعرض الى التصدع والتمزق مع زحف التكنولوجيا ، وعلى الاقتصاد والمجتمع اللحاق بالمستجدات من أجل صياغة المعايير المناسبة تحت الظروف المتغيرة .

لكن ومع بالغ الأسف لم يشعر الكثير في مجتمعنا العراقي ولم يفطن بالتغيرات المتسارعة في عالم اليوم وتأثيرها على الأفراد ، وكيف غدت الاجهزة الالكترونية الفائقة التطور تؤثر على قيم البشر وتؤثر في سلوكياتهم . أضف الى ذلك إن الشخصية العراقية تعاني من الازدواجية في عمق تكوينها وهذه الإزدواجية تعود الى أسبابٍ عدة أهمها القيم الأخلاقية البالية والموروثة من الأزمنة العشائرية والقبلية ، فضلا عن مُخلفات الانظمة السياسية الدكتاتورية خلال العقود الماضية ، وهذه الأسباب وغيرها خلقت تلك الشخصية ذات الطابع المصلحي الأناني التي لا تعرف غير حب المال والملذات الشخصية .

وفي خضم ذلك لابد أن لا يغيب عن أذهاننا بأن عصر المعلوماتية الذي يعيشه العالم بأسره ، أمريكا وأوروباوبعض دول آسيا والذي نحن جزءاً منه ونsaid بعضاً منه هو مستورد وليس مُبدع . لذا لابد أن تكون حذرين من كل ما هو دخيل علينا ونحاول قدر الامكان الأخذ بنظر الاعتبار بسيئاته قبل إيجابياته ، فلابد من مواكبة التطور وفي الوقت ذاته لابد من طرح سلبياته بعيداً كي لا تتأثر سلوكياتنا وقيمنا وعقائدنا . [٤٦]

النتائج :-

١.إن العولمة لها جذور قديمة جداً – ظهرت أولاً بمفهوم العالمية – ولا يمكن أن تنسب لأمريكا وحدها . ولا هي نقطة الانطلاق منها .

والباحث في جذورها القديمة يجد أنها عبر هذا التاريخ الانساني حملت معنيين أحدهما هو السيطرة والهيمنة وإخضاع العالم أو أجزاءً كبيرة منه . والمعنى الآخر هو الدمج وعدم التمييز وتوحيد العالم لتحقيق السلام ونشر المحبة وروح الإخاء وهذا ما تجسد في ما دعت أليه الأديان السماوية لاسيما المسيحية وكذلك ديننا الإسلامي الحنيف الذي دعى الى نشر الإسلام وفتح البلدان البعيدة ، فهو دين عالمي وعالميته هذه لم تكن الغاية منها الهيمنة وبسط النفوذ والسيطرة على العالم ، بل نشر المحبة والسلام .

٢.لو قارنا ما بين واقع الحال الذي يعيشه الشرق الاوسط بالذات وبين الغرب لاسيما أمريكا لشاهدنا الفرق الشاسع والكبير من الناحية العلمية والثقافية والتقنية (التكنولوجية) بالذات ، بحيث تمكنت منظومتها وآيديولوجيتها الفكرية وما تحمله من قضايا إستعمارية تُغري مفكرينا وأكادميينا وكتابنا بسحرها ورُقيها وتقدمها ، وهذا الامر كان مردوده عكسي وسلبي علينا ، فقد دفعت تلك الامور بمفكرينا وباحثينا وأكاديميينا الى الهجرة وإستغلال قدراتهم وإمكانياتهم . فلماذا لا نستثمر هذه العقول في بلداننا لتطوير الواقع المأساوي الذي نعاني منه الآن وفي السابق أيضاً ، لماذا لا نوفر لهذه العقول الجو المناسب والبيئة الملائمة لتبدع وتبتكر وتطور واقعنا ؟ لماذا نحن دائماً شعوب مقلدة وليست مبتكرة في حين إن عقولنا هي في الأساس التي تحمل الأصالة والابتكار .

٣.إن قدرة الغزو الثقافي أو ما يُعرف بالعولمة الثقافية – العولمة ذات البعد الثقافي – فاقت الآن في ظل ما تشهده الفترة التي نعيشها الآن – القرن الحادي والعشرين – عما كانت عليه في السابق . وهذا يعود لأسباب عديدة منها أسباب سياسية أولاً ، وعلمية – تقنية ثانياً . فلننظر لهذا الغزو الجديد الأكثر تطوراً والاخطر فتكاً فقد جمع ما بين السياسة والعلم والتكنولوجيا وألقى بظلاله علينا من خلال مطامعه الإستعمارية لتغيير ديموغرافية البلدان العربية وأكبر دليل على ذلك هو ما تشهده بلداننا العربية والإسلامية من صراعات ونزاعات في مواجهة ما أسماه الغرب الإرهاب . وفي ظل هذه الصراعات يصبح هنالك إضمحلالاً للقيم والمبادئ على الصعيد الديني والأخلاقي بالذات وانعدام الثقة بالآخر ، ناهيك عن التفكك الإجتماعي وما ينتج عنه من إرتفاع في معدلات البطالة والجريمة وشتى أشكال الإنحراف ومشاكل أخرى تعيشها بلداننا الآن ، أعلاها التفكك والتجزئة والتقسيم الجغرافي لإضعافها ، وليبقى بذلك الغرب هو المهيمن والمسيطر وفي كافة الاصعدة والمستويات . وليبقى محافظاً على هيبته وجبروته .

٤.أجد في رأي بعض الباحثين قبولاً في تشخيصهم لايجابيات ومساوئ العولمة: الاول من ناحية تأكيد بعضهم على ضرورة الاشادة بما تحمله العولمة من أفكار وثقافات اخرى والأخذ بها على نحوٍ محدود ، والثانية أويد الطرف الآخر والمتمثل برأي بعض الباحثين في التحذير من خطورتها . والخطورة من وجهة نظرنا أكثر وضوحاً وتأثيراً علينا .

والحق يقال يجب أن لا نلقي اللوم على الغرب فقط ، بل على أنفسنا أيضاً . اذ كان لابد علينا كشعوب وبلدان ملتزمة عقائدياً ودينياً واخلاقياً ، أن ندرك ما هي إيجابيات وسلبيات العولمة ، ولنعمل على الأقل في تجنب آثارها السلبية على واقعنا الذي بات يعاني منه الكثيرون . فلا يستطيع أحد أن ينكر أثر الغرب علينا في تصوير تقنيات حديثة جداً ، كالحواسيب والموبايلات وتعرَّفنا منه على شبكات الانترنت ومواقع أخرى وخصوصاً ما هو رائج منها الآن وما يسمى بمواقع التواصل الإجتماعي الفيس بوك – ان اكتشاف الفيس بوك يرجع الى احد الطلبة الجامعيين في اميركا ، عندما أراد ان يعمل كروب (مجموعة) يتواصل معها تضم زملائه داخل الجامعة ، فأتسعت الفكرة لتخرج من نطاقها الاكاديمي الى النطاق الاجتماعي ككل – بحيث أصبح العالم الآن أشبه بالقرية الصغيرة . فعلى الصعيد الأكاديمي أصبحت لدينا القدرة على مخاطبة جامعات غربية – بوسائل أسرع وأكفأ – ونشر أبحاث ومؤلفات ، والحصول على كتب ومصادر مهمة . أو التعرف على أمور تتعلق بعلوم خارج تخصصنا وثقافات متنوعة عبر النت . كما أصبح لدينا أصدقاء نخاطبهم أو أقارب مهاجرين لم نكن نعرف أخبارهم الاّ من خلال رسائل البريد التقليدية أو الفاكسات أو الهواتف الدولية . اذ ان كل هذه التقنيات الآن ساهمت في خدمتنا .

لكن بالمقابل لم تُستغل هذه الامور بشكلها الصحيح . فمثلاً أصبحت قضايا الفيس بوك نقمة لدى كثيرين، والسبب في ذلك يعود الى جهل المجتمع ، فالكثير من أبناء البشر لم يُدركوا الغاية الحقيقية من هذه الوسائل ، اذ أصبحت تستعمل للتشهير والنفاق وإضاعة الوقت أو انتحال شخصيات أو مساومات أو لتسقيط الآخر ، واستغلال المراهقين من الشباب والشابات ودعوتهم مثلاً للإنتماء الى جهات مغرضة قد تكون غير واضحة ويشوبها الكثير من الغموض ، أو استعماله في القضايا اللاأخلاقية.

وفي مقابل ذلك يجب أن نشخص بعض الاخطاء على المستوى الأكاديمي ، حيث نجد إن دخول تقنية معينة حديث العهد على بلد معين مثل بلدنا الحبيب (العراق) لا يؤخذ بنظر الإعتبار التهيئة المُسبقة واللازمة لآلية الدخول الجديدة لتلك التقنيات . فمن

الأخطاء التي شخصناها عدم تعميم ونشر تلك التقنيات على المستوى التربوي والأكاديمي ، وعدم إعداد دورات ومختصين وأساتذة أكفاء للإشراف على تجهيز وتهيئة الدورات للقدرة على العمل عليها .

فرغم دخول الحواسيب واتصالها بالشبكات المعلوماتية نلاحظ مازال هنالك الكثيرين ممن يُعانون من مشكلة عدم القدرة على إستعمالها . هذا على المستوى الأكاديمي ، فما بالك بالانسان البسيط والمحدود التعليم والثقافة أن لم نقل معدومة لديه.

إضف الى ذلك ان الكثير يعاني مما يُطلق عليه علماء النفس المعاصرين " برهاب الانترنت " فالحواسيب وشبكات النت والفيس وغيرها أصبحت مخيفة لدى كثيرين لعدم معرفتهم وقدرتهم على استعمالها وهذا ما يفسر لنا واقعهم الإجتماعي والتعليمي والتقني المحدود أو المعدوم . ويمكن أن نلتمس ذلك في أطراف المدن من ارياف وقرى نائية .

٥.حلول ومقترحات ونصائح أزاء المد الحضاري الثقافي منها : لا يجب التوقف عن توعية الشباب والتحذير مما هو جديد والأخذ في الوقت نفسه بإيجابياته ، وهذه المسؤولية تقع على عاتق المؤسسات الحكومية (التعليمية والتربوية) ، وبالإضافة الى دور منظمات المجتمع المدني في ذلك بهدف نشر الوعي الثقافي.

ولابد من عقد المؤتمرات والندوات الخاصة بذلك ويساهم فيها أشخاص أكفاء على دراية ومعرفة وعلم ومسؤولية ، وتنظيم برامج تربوية وتعليمية للتحذير من مخاطر العولمة وبيان جوانبها السيئة والجيدة . فالعولمة سيف ذو حدين فيجب التعامل معها بروية وحكمة وحذر.

قائمة الهوامش :-

(١)الجابري، محمد عابد : قضايا في الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط١ ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .

*عُرفت الرواقية كمدرسة فلسفية وضع اصولها زينون ت ٣٣٦ ق.م ، ثم تبعه على هدى هذه المدرسة تابعان هما إقلاينتوس وأقريسبوس ، كان جُل إهتمامها هو المنطق والمعرفة والأخلاق والطبيعة ، ومنها انطلقت النظرة الشمولية للعالم . أنظر ، كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٣٥٥ – ١٩٣٦ ، ص ٣١٠ .

(٢) كاطع ، سناء كاظم : الفكر الاسلامي المعاصر والعولمة ، دار الغدير ، منشورات لسان الصدق ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، ص ٣٨ .

(٣) كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٣٠٤ .

(٤) كاطع ، سناء كاظم : الفكر الاسلامي المعاصر والعولمة ، ص ٣٨ .

(٥) بحر العلوم ، السيد حسن : العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية ، معهد الدراسات العربية والاسلامية ، لندن بالتعاون مع مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي للثقافة الخيرية ، ط٢ ، اكتوبر ٢٠٠٣ – رمضان ١٤٢٤ ، دولة الكويت ، ص ١٩ – ٢٠ .

(٦) كاطع ، سناء كاظم : الفكر الاسلامي المعاصر والعولمة ، ص ٣٨ – ٣٩ .

* القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية (١٣) .

(٧) بحر العلوم ، السيد حسن : العولمة بين التصورات الاسلامية والغربية ، ص١٩.

* هذا هو السبب الذي لا يفهمه كثيرون عن أسباب نشوء العولمة وانطلاقها من الولايات المتحدة الامريكية وغيرها ، فالكشف الجغرافي الذي قام به عدد من المستكشفين ساهم في أيجاد القارة وهجرة العديد إليها ومازال يهاجر إليها كثيرون لاسيما العقول النيرة . لذا هذا الأمر يجعلها في مقدمة البلدان الأكثر تقدماً ورقياً . في حين نحن وبإستمرار نخسر عقولنا العربية والكفاءات ولا أحد يبالي بذلك ولا ندرك حجم هذه الخسارة . وأصبحنا خاضعين للغرب ثقافياً وعلمياً وتكنولوجياً . الذين إستثمروا عقولنا الأصيلة للهيمنة علينا .

(٨) بحر العلوم ، السيد حسن : العولمة بين التصورات الاسلامية والغربية ، ص٢٠.

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(١١) بك ، أورلريش : ماهي العولمة ، ترجمة أبو العيد دودو ، منشورات الجمل ، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢ ، ص ٣٣ – ٣٥ .

(١٢) بحر العلوم ، السيد حسن : العولمة بين التصورات الاسلامية والغربية ، ص٢١ .

(١٣) أحمد ، عزت السيد : إنهيار مزاعم العولمة قراءة في تواصل الحضارات وصراعها ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، عام ٢٠٠٠ م ، ص ١١.

(١٤) كاطع ، سناء كاظم : الفكر الاسلامي المعاصر والعولمة ، ص ١٩ .

(١٥) أحمد ، عزت السيد : إنهيار مزاعم العولمة قراءة في تواصل الحضارات وصراعها ، ص١٢.

(١٦) خريسان ، باسم علي : العولمة والتحدي الثقافي ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م ، ص ١٨ – ١٩ .

(١٧) الجابري ، محمد عابد : قضايا في الفكر العربي المعاصر، ص ١٣٦ .

(١٨) كاطع ، سناء كاظم : الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة ، ص ٢٠ .

(١٩) بحر العلوم ، السيد حسن : العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية ، ص٣٠ – ٣١ .

(٢٠) خريسان ، باسم علي : العولمة والتحدي الثقافي ، ص ١٩ .

(٢١) بحر العلوم ، السيد حسن : العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية ، ص٢٩ .

(٢٢) إبراهيم ، شوقار : فلسفة التربية في عصر العولمة (قراءة نظرية من منظور إسلامي) ، كلية المعارف والوحي والعلوم الإنسانية ، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزا ، بحث مقدم الى كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض تحت شعار العولمة وأولويات التربية في الفترة من ٢٧ – ٢٨ / ٢ / ١٤٢٥ الموافق ١٧/ ١٨ /٤ / ٢٠٠٤ م ، ص ٩ .

(٢٣) كاطع ، سناء كاظم : الفكر العربي المعاصر والعولمة ، ص ٢١ .

(٢٤) بك ، أولريش : ماهي العولمة ، ص ٣٦ .

(٢٥) بحر العلوم ، السيد حسن : العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية ، ص٣٢ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٣٢ – ٣٣ .

(٢٧) كاطع ، سناء كاظم : الفكر العربي المعاصر والعولمة ، ص ٢١ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢٣.

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٤ – ٢٥ .

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧ – ٣١ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

(٣٢) خريسان ، علي باسم : العولمة والتحدي الثقافي ، دار الفكر العربي ، ص ٢٠ – ٢١ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢ – ٢٣ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤ – ٢٥ .
(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .
(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .
(٣٩) ١٥- قضايا إسلامية معاصرة : مجموعة باحثين ، مجلة تصدر عن مركز دراسات الدين – رئيس التحرير عبد الجبار الرفاعي ، بغداد – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.
(٤٠) خلوصي ، ناطق : ثقافة الألفية الثالثة : ترجمة واعداد ناطق خلوصي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ٢٠٠٣ م ، ط١ ، ص ٢٩ .
(٤١) الجابري ، محمد عابد : إشكالية الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠م ، ص ١٨ .
(٤٢) الجابري ، محمد عابد : المشروع النهضوي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص ٤١ .
(٤٣) شوقار ، ابراهيم : فلسفة التربية في عصر العولمة (قراءة نظرية من منظور إسلامي) ، ص ٤ – ٥ .
(٤٤) علي ، حسين : العلم والقيم الأخلاقية – رؤية معاصرة – من ضمن كتاب الفلسفة التطبيقية (الفلسفة لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة) ، تحرير د. مصطفى النشار ، الناشر الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م ، ص ٣٤٦ .
(٤٥) سعيد ، نبيل رشاد : المستقبليات (رؤية استشراقية في أفق المستقبل) ، الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ط١ ، ٢٠١٣ ، ص ١٠٩ .
(٤٦) المصدر نفسه ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

قائمة المصادر:

القران الكريم .

١- أبراهيم ، شوقار : فلسفة التربية في عصر العولمة (قراءة نظرية من منظور إسلامي) ، كلية المعارف والوحي والعلوم الأنسانية ، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزا ، بحث مقدم الى كلية التربية في الفترة من ٢٧ / ٢٨ / ٢ / ١٤٢٥ الموافق ١٧ / ١٨ / ٤ / ٢٠٠٤ م .

٢- أحمد ، عزت السيد : إنهيار مزاعم العولمة ، قراءة في تواصل الحضارات وصراعها ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، عام ٢٠٠٠ .

٣- الجابري ، محمد عابد : إشكالية الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠٠٠ .

٤- الجابري ، محمد عابد : المشروع النهضوي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٦ .

٥- الجابري ، محمد عابد : قضايا في الفكر العربي المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٧ .

٦- بحر العلوم ، السيد حسن : العولمة بين التصورات الإسلامية والغربية ، معهد الدراسات العربية والإسلامية ، لندن بالتعاون مع مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي للثقافة الخيرية ، الكويت ، ط٢ ، اكتوبر ، ٢٠٠٣ – رمضان ١٤٢٤ .

٧- بك ، أولريش : ما هي العولمة ، ترجمة أبو العيد دودو ، منشورات الجمل ، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢ .

٨- خريسان ، باسم علي : العولمة والتحدي الثقافي ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ .

٩- خلوصي ، ناطق : ثقافة الألفية الثالثة ، ترجمة واعداد ناطق خلوصي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

١٠- سعيد ، نبيل رشاد : المستقبليات (رؤية مستقبلية في أفق المستقبل ، الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ط١ ، ٢٠١٣ .

١١- علي ، حسين : العلم والقيم الأخلاقية – رؤية معاصرة – من ضمن كتاب الفلسفة التطبيقية (الفلسفة لخدمة قضايانا القومية في ظل التحديات المعاصرة) ، تحرير د. مصطفى النشار ، الناشر الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

١٢- كاطع ، سناء كاظم : الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة ، دار الغدير ، منشورات لسان الصدق ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

١٣- كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٥ – ١٩٣٦ .

المجلات :

١٥- قضايا إسلامية معاصرة : مجموعة باحثين ، مجلة تصدر عن مركز دراسات الدين – رئيس التحرير عبد الجبار الرفاعي ، بغداد – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.